علمنا بأن الناس من نسل فاجر وأن جميع الخلق من عنصر الزنى

ثم يقول فيه :

والناسُ قد فطرُوا منذْ كانَ أوَّ لهمْ على الفساد فغيٌّ قولنا فسدوا

لأنه هجا آدم والأوائل ، ولم يشفع لأحد عنده خير أو برّ ، ونظر إلى الدنيا بمنظار أسود فلم يرَ إلاّ الأخلاق الفاسدة ، والعقول الجاحدة ، والقلوب الكافرة ، فرماهم واحداً بعد الآخر ، وأصاب الحكام ورجال الدين والمرأة والرجل على السواء ، ووجد أن الزواج مضرةٌ وأن النسل مفسدةٌ وأن الخير للإنسان أن يعقم . فقال فى الحكام :

مل المقامُ فكمْ أعاشرُ أمة أمرَتُ بغير صَلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها وعدَوْا مصَالحها وهمْ أجراؤها

ونظر إلى أصحاب الدّين فكشفَ عن كثير من نواياهم وعمّهم بنظرته فقال :

وقد فتشتُ عنْ أصْحاب دين لهم نسكٌ وليس لهم رياءُ
فألفيتُ البهائم لا عقولٌ تقيمُ لها الدليل ولا ضياء

فوجد فى هؤلاء رياء فى الدين وتظاهراً بالنسك ، فشبههم بالبهائم لا عقول لهم تقيم الدليل على تفقههم ولا ضياء ينير قلوبهم ، ثم رسم بعض الوعاظ لعصره يهجوه :

يحرمُ فيكم الصّهباء صُبحاً ويشربها على تعمد مساء
تحساها فمن مزْج وصرف يعل كأنما وَرَد الحساء
يقولُ لكمْ : غدَوْتُ بلا كساء وفى لذاتها رَهنَ الكساء

ولعله أسرف فى التشاؤم ، فلم يكن العصر يختلف عن غيره من العصور ، والناس هم الناس فيهم الصالح والطالح ، فخلط بينهم وحكم عليهم فى قسوة فجعل رجال الدين يشربون فى المساء ويرهنون فى سبيل الخمر الكساء ، وهم